

برنامج [الكتاب الناطق] - الحلقة (14)

السبت 13/2/2016م 4 جمادى الأولى 1437هـ

❖ كان الحديث في الحلقة السابقة تحت عنوان اخترته لهاتين الحلقتين:

(الصنمية تصنع الأوهام)

وكان الموضوع يدور حول الأسباب التي جعلت آثار الشيخ الطوسي مُستمرّةً إلى يومنا هذا.

❖ **السبب (3):** هو طول فترة مرجعية الشيخ الطوسي، حيث دامت ما يقرب من رُبع قرنٍ من الزمان، وهي فترة ليست قصيرة مع كلِّ التغييرات التي جاء بها، ومع المنهجية الجديدة، والتفرد في الساحة العلمية الدينية كُلاً ذلك أكسب مرجعية الشيخ الطوسي هذا التأثير إلى يومنا هذا..

❖ **السبب (4):** تأسس الشيخ الطوسي لحوزة دينية جديدة مُستقلة في النجف الأشرف وفقاً لمذاهبه، ووفقاً لرؤيته، ووفقاً لمنهجيته التي اختلف فيها عن منهج مَنْ سبقوه.. وهي منهجية اختلف فيها الفكر الإمامي مع المعتزلي والأشعري والشافعي.. فحوزة النجف هي حوزة الشيخ الطوسي بامتياز

❖ ولا زالت آثار حوزة الطوسي الحسبية والمادّية التي أسسها حتى في أيامها الأولى (بيت العالم- قبر العالم- مسجد العالم) لازالت إلى يومنا هذا.. فجامع الطوسي لا يزال هو المقرّ الرمزي للحوزة العلمية في النجف الأشرف، ويُعدّ من أهم مراكز التدريس والدراسة في النجف الأشرف، وجامع الطوسي هو بيته الذي سكنه، و بعد موته أُوقف مسجداً. (قبل الشيخ الطوسي لا توجد مثل هذه الرمزية، فالشيخ المفيد دُفن في مقابر فريش ولم يبقَ لبيته أي رمزية، وكذلك السيد المرتضى).

❖ **السبب (5):** ما تركه الشيخ الطوسي من تراث مكتوب في مختلف الاختصاصات التي يحتاجها أهل العلم الديني.. فالشيخ الطوسي وضع منهجية جديدة للتفسير في تفسيره (التبيان)، وهي منهجية تأخذ شيئاً من أهل البيت وتضيف إليه الشيء الكثير من مخالفي أهل البيت!

❖ الفقه المُقارن بدعة جديدة جاءت تقليداً لمنهج الشافعي.. ففقه أهل البيت ليسوا بحاجة لفقه مُقارن.. هم مُحْتَاجُونَ للتفقه في فقه آل محمد عليهم السلام.

❖ قد يُبرر البعض فيقول: أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه ولكن فقه أعداء أهل البيت هو جهل وليس بعلم، فأعلم الناس ليس من جمع جهل الآخرين وجعله مع علم آل محمد رأساً برأس.

❖ ما كتبه الشيخ الطوسي في كتابه (العدة في الأصول) هو مُجارة لكتاب الشافعي (الرسالة)، وما كتبه في كتابه (المبسوط) هو مجارة لكتاب الشافعي (المبسوط) أيضاً والذي يُعرف في زماننا بـ(الأم)، وكذلك في قضية تأصيل العقائد تجد تأثيراً بطريقة الأشاعرة والمعتزلة.

❖ **السبب (6):** وهو قضية بالغة الأهمية، وهي (المرجعية بالوراثة). بدأت هذه القضية من الشيخ الطوسي حين ورث مرجعيته لولده الحسن الطوسي، واستمرت مرجعيته أكثر من 55 سنة، فأخذ مكان أبيه في الرعامة الدينيّة، والرعاة العلمية.

❖ التتبع لأحوال ابن الشيخ الطوسي يوصلنا إلى أنه لم يكن بذاك الذكاء وذاك النبوغ الذي كان عليه والده، ولذا اضطر العلماء لأجل تلميح صورته أن نسبوا إليه كتاب من كتب والده وهو كتاب (آمالي الطوسي). في حين أن نفس الشيخ الطوسي واضح جداً في كتابه، وأعطوه لقباً يُحاولون به أن يُشعروا الآخرين أنه أعظم من أبيه وهو لقب (المفيد الثاني)، وهذه ظاهرة موجودة إلى يومنا هذا، فالمرجع إذا أرادوا التمهيد لأبنائهم ليتقلدوا المرجعية من بعدهم يمدحونهم!

❖ القصة التي يذكرونها أن الإمام الحجّة هو الذي لقب الشيخ المفيد بهذا اللقب هذه أكذوبة صريحة واضحة، فاللقب جاء من أحد المخالفين لأهل البيت، والقضية مُفضلة في كتب التراجم.. وأبسط مُراجعة لتأريخ الرسائل التي وصلت للشيخ المفيد من إمام زماننا تُبين كذب هذه القضية.

❖ **مصادق من مصاديق التحريف في كتب علمائنا:**

● وقفة عند كتاب (تأريخ الفقه الإسلامي وأدواره) للشيخ جعفر السبحاني، وما ذكره في ترجمة ابن الشيخ الطوسي الملقب بـ(المفيد الثاني)، وبتر الشيخ السبحاني للكلام الذي نقله عن ابن حجر في ترجمته لابن الشيخ الطوسي، إذ يقول ابن حجر: (وكان مُتَدِينًا، كافيًا عن السَّب- يعني سب أعداء أهل البيت عليهم السَّلَام-) فبتر الشيخ السَّبَحاني عبارة (كافيًا عن السَّب) التي ذكرها ابن حجر في لسان الميزان!

❖ قول المخالفين أن ابن الشيخ الطوسي (كان كافيًا عن السَّب) هو قرينة على أنه يُلزم انحرافًا باتجاه أعداء أهل البيت، فهو على منهج أبيه، ولذلك المخالفون يمتدحونه.

❖ عبارة (وكان مُتَدِينًا وكافيًا عن السَّب) التي قالها المخالفون في ترجمة ابن الشيخ الطوسي، هذه العبارة يُوردها أيضاً السيد مُحسن الأمين العاملي في كتاب (أعيان الشيعة) المجلد 5.. فهي عبارة موجودة في كُتُبنا أيضاً، وموجودة في المصدر الأصلي، فلماذا يبتراها الشيخ جعفر السَّبَحاني..؟

❖ في البحث العلمي الديني لا بُدَّ من مُراعاة الأمانة العلمية والدينية في النقل؛ لأنَّ الخيانة في الأمانة العلميّة ستؤدِّي إلى انحراف الفكر الديني.

● مصداق آخر من مصاديق التحريف في كُتُب علمائنا:

ما جاء في كتاب (البيان) للسيد الخويّ - في الطبعة التي كانت في حياته- وهو يتحدّث عن الكسائي، يقول (كان الكسائي أعلم الناس على رَهَقٍ فيه، كان يُديم شُرب التَّبِيد، ويُجاهر بـ.....) فالسيد الخويّ قطع الكلام، ووضع نقاط.. مع أننا إذا رجعنا للمصدر الأصلي الذي نقل عنه السيد الخويّ وهو كتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحموي-ج4 لوجدنا أنه يقول: (..كان يُديم شُرب التَّبِيد ويُجاهر باتِّخاذ الغلمان الرّوقة..) كلام السيد الخويّ في مقام تضعيف القراءات، وهو ينقل ما جاء في كتب المخالفين عن الرّوّاء.. لماذا حينما وصل الكلام إلى الكسائي حذفه ووضع نقاط؟ أليس هذا من الخيانة العلمية؟

❖ العبارة المذكورة بشأن الكسائي أنه كان (يُجاهر باتِّخاذ الغلمان الرّوقة) هذه العبارة موجودة في كُتُب أخرى للمُخالفين، مثل كتاب (بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة: ج2) لجلال الدّين السيوطي. فهذا الكلام في كُتُب القوم.. هم يتحدّثون عن الكسائي وعن رموزهم وعلمائهم بهذه اللّغة..

فلماذا السيد الخويّ تأخذه الحرقة والغيرة على الكسائي أكثر من القوم..! (ألا تضيع الحقائق هكذا!؟)

❖ شرح مفردات العبارة التي جاءت عن الكسائي..بيان معنى (رَهَق) ، (التَّبِيد)، (الغلمان الرّوقة).

❖ إذا رجعنا إلى طبعة أخرى لكتاب (البيان) التي طبعت بعد وفاة السيد الخويّ، (طبعة مؤسسة إحياء آثار الإمام الخويّ)، لرى ماذا فعلت هذه المؤسسة، سنجد التحريف واضح في هذه الطبعة.. حيثُ جاء فيها في ترجمة الكسائي: (كانَ يديم شُرب التَّبِيد، ويُجاهر به إلا أنه كان ضابطاً). فقد حذفوا النّقاط، وأتوا بضمير (الهاء) من عندهم وجعلوه مُلتصقاً بحرف (الباء).. فتغيّرت الحقائق بشكل كُليّ..!

أليست هذه خيانة علميّة ودينية في نفس الوقت..؟ فأين التّحقيق إذاً.. وكيف نثق ببقية الكُتُب؟

❖ قد يُبرر أحدهم للسيد الخويّ ويقول: أنه بتر الكلام من باب (التّقُدُس) وأقول: لا معنى للتّقُدُس في البحث العلمي وبيان الحقائق الدينية، ولا معنى لوضع الهالات الكاذبة حول البحوث العلمية الخاطئة المشحونة بالفكر المُخالف لأهل البيت، إذا كان في مسألة الرّواج يجوز كشف المستور ليكون الإنسان صادقاً في النّصيحة، فما بالكم بقضايا تخصّ دين الله..!؟

❖ ثمَّ إنّه إذا كان التّقُدُس هكذا مع الكسائي.. فأين التّقُدُس مع أشيع أهل البيت..؟ فأنتم فرتمونا فرماً حين قلنا نقوا كُتُب أهل البيت من حديث المُخالفين..؟

❖ مصداق آخر للتحريف: في نفس كتاب (البيان) للسيد الخويّ في الطبعة التي كانت في حياته، السيد الخويّ يذكر روايات المُخالفين وروايات البُخاري كاملة، ولكنه حين يأتي إلى رواية الإمام الجواد الهامة جدّاً والتي تتحدّث عن مقامات العترة (إنَّ الله تعالى لم يزل مُتفرِّداً بوحدانيّته... يبتريها..!؟)

لماذا يُبتر هذا الحديث؟ هل هذا تقدّس أيضاً؟

❖ مصداق آخر للتَّحْرِيفِ والْبِتْرِ: البتر في التَّثْقِيفِ، فهذه الرِّوَايَةُ الهَامَّةُ في تَفْسِيرِ الإِمَامِ العَسْكَرِيِّ (فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الفُقَهَاءِ..) هذه الرِّوَايَةُ تُبَيِّنُ بَتْرًا فُظِيحًا..! فيحصل شعور عند المُتَلَقِّي أَن جَمِيعَ مَرَاجِعِ الشَّيْخَةِ يُوصَفُونَ بِهَذَا الوَصْفِ. وهي خِيَانَةٌ كَبِيرَةٌ لِحَدِيثِ الإِمَامِ الصَّادِقِ، وحديث الإِمَامِ العَسْكَرِيِّ.

❖ هُنَاكَ مَصْدَرَانِ مُهِمَّانِ جَدًّا.. الشَّيْخِيُّ بِدُونِهَا سَيَبْقَى فِي مَتَاهَةِ، وَهُمَا مُغَيَّبَانِ عَنِ سَاحَةِ الثَّقَافَةِ الشَّيْخِيَّةِ:

● الأَوَّلُ: رِوَايَةُ تَفْسِيرِ الإِمَامِ العَسْكَرِيِّ الَّتِي يَسْتَدَلُّ بِهَا العُلَمَاءُ فِي مَسْأَلَةِ التَّقْلِيدِ.

● والثَّانِي: تَوْقِيعُ اسْحَاقِ بْنِ يَعْقُوبَ وَهُوَ نَصٌّ فِي غَايَةِ الأَهْمِيَّةِ.

(سَأَتَنَاوَلُ هَذَيْنِ النِّصْنِ وَأَقْتَلُهُمَا قِتْلًا بِالْبَيَانِ وَالشَّرْحِ وَالتَّفْصِيلِ)

❖ الأَصْلُ فِي كَلَامِ العُلَمَاءِ عِنْدِي أَنَّهُ خَاطِءٌ حَتَّى يَثْبِتَ العَكْسَ، وَهَذَا نَشَأٌ عِنْدِي مِنْ جِهَتَيْنِ:

● مِنْ جِهَةِ الأَمَانَةِ فِي التَّنْقُلِ.

● وَمِنْ جِهَةِ خَلْطِ حَدِيثِ أَهْلِ البَيْتِ بِالفِكْرِ المُخَالَفِ.

❖ يُقَالُ بَأَنَّ الفُقَهَاءَ بِسَبَبِ تَقْدِيسِهِمُ لِلشَّيْخِ الطُّوسِيِّ، سَارُوا عَلَى مَسِيرَتِهِ.. صَحِيحٌ وَلَكِنَّهُمْ سَارُوا عَلَى مَسِيرَتِهِ خَوْفًا عَلَى مَصَالِحِهِمْ، وَمَا يَصْلُهُمْ مِنْ أَمْوَالٍ مِنَ المَرَجِعِيَّةِ، وَمِنْ المُقَلِّدِينَ.. وَلِهَذَا جَاءَ عَنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بَاقِرِ الصِّدْرِ كَلِمَةً مَهْمَةً يَقُولُ: أَنَّ عُلَمَاءَ السَّنَةِ لَا يَصْطَدِمُونَ مَعَ الحُكُومَاتِ لِأَنَّ الأَمْوَالَ تَأْتِيهِمْ مِنَ الحُكُومَاتِ، وَعُلَمَاءُ الشَّيْخَةِ لَا يَصْطَدِمُونَ مَعَ النَّاسِ خُصُوصًا التَّجَارَ، لِأَنَّ أَمْوَالَهُمْ تَأْتِي مِنْ هُنَاكَ.

❖ مِنَ الكَلَامِ الَّذِي يُتَدَاوَلُ فِي الجَلِيسَاتِ الخَاصَّةِ لِطَلَبَةِ العِلْمِ:

(ابن العالم نصف عالم، فإذا لبس العمامة فعالم، وإذا كثرت أمواله صار مرجعاً، فتنسطر حينئذٍ حوله الألقاب والثناء والمدائح).

❖ السَّبَبُ (7): عَدَمُ وَجُودِ اعْتِرَاضِ، وَالَّذِينَ اعْتَرَضُوا قُمِعُوا كَمَا قُمِعَ ابْنُ ادْرِيسِ الحَلِّيِّ.

❖ لَا يَتَوَقَّعُ مَعَ هَذِهِ المَرَجِعِيَّةِ الوَرَاثِيَّةِ الطَّوِيلَةِ أَنَّ أَحَدًا يَفْتَحُ فَمَهُ، وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ سَيَمْرَقُ، وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا حَصَلَ لِابْنِ ادْرِيسِ الحَلِّيِّ.

ابن ادريس الحلي ضَعَفَ الكَثِيرَ مِنْ أَحَادِيثِ أَهْلِ البَيْتِ أَكْثَرَ مِنَ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ، وَلِهَذَا هُوَ مُدَحٌّ مِنْ جِهَةِ تَضْعِيفِهِ لِأَحَادِيثِ أَهْلِ البَيْتِ، وَلَكِنَّهُ انْتَقَدَ الشَّيْخَ الطُّوسِيَّ، وَفَتَحَ بِذَلِكَ بَابَ النِّقْدِ لِلشَّيْخِ الطُّوسِيِّ فَمَرَّقُوهُ لِذَلِكَ شَرًّا مُمَرَّقًا. (ارْجِعُوا إِلَى تَرَاجُمِ ابْنِ ادْرِيسِ فِي كُتُبِ عُلَمَائِنَا).

❖ مِثَالُ عُلَى تَشْوِيهِ عُلَمَاءِ الشَّيْخَةِ لِصُورَةِ ابْنِ ادْرِيسِ الحَلِّيِّ:

● مَا جَاءَ فِي كِتَابِ (رُوضَاتِ الجَنَّاتِ: ج 6) فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ ادْرِيسِ الحَلِّيِّ، وَأَنَّ اللّٰهَ بَتَرَ عُمُرَهُ، وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ 25 سَنَةً، لِأَنَّهُ انْتَقَدَ الشَّيْخَ الطُّوسِيَّ!! وَكَلَّ هَذَا كَذِبٌ وَدَعَايَاتٌ.

❖ الصَّنَمِيُّونَ مَوْجُودُونَ عَلَى طُولِ الخَطِّ، وَهُمْ الَّذِينَ حَافِظُوا عَلَى مَنَهْجِيَّةِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ، وَهَكَذَا يُحَافِظُونَ عَلَى مَنَهْجِيَّاتِ العُلَمَاءِ حَتَّى لَوْ كَانَتْ مُخَالَفَةً لِأَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

❖ السَّبَبُ (8): هُوَ الدَّعَايَةُ الكَاذِبَةُ وَتَضْخِيمُ العُلَمَاءِ، وَإِعْطَاءُ العُلَمَاءِ صُورَةَ مُقَدَّسَةٍ أَكْثَرَ مِنَ الوَاقِعِ.

❖ أَمْثَلَةٌ عَلَى تَضْخِيمِ العُلَمَاءِ وَإِعْطَائِهِمْ صُورَةَ مُقَدَّسَةٍ أَكْبَرَ مِنَ الوَاقِعِ:

● الكِرَامَةُ الَّتِي أَوْرَدَهَا الشَّيْخُ آغَا بَزْرُكَ الطُّهْرَانِيُّ لِلشَّيْخِ الطُّوسِيِّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ تَفْسِيرِ (التَّبْيَانِ) نَقْلًا عَنِ المُحَدَّثِ النَّوْرِيِّ بِخُصُوصِ المَشَايِخِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُمْ شُكُّ وَاشْكَالَاتٌ عَلَى الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ.. وَالرِّوَايَةُ الَّتِي شَاهَدُوها فِي المَنَامِ، وَمَا قَالَهُ لِهِمْ سَيِّدُ الأَوْصِيَاءِ بِخُصُوصِ كِتَابِ (النَّهْيَةِ) لِلشَّيْخِ الطُّوسِيِّ.

- الكِرَامَةُ الَّتِي أَوْرَدَهَا الشَّيْخُ آغَا بَزْرُكَ الطُّهْرَانِيُّ لِلشَّيْخِ الطُّوسِيِّ تُشِيرُ إِلَى عَصْمَةِ كِتَابِهِ النَّهْيَةِ وَأَهْمِيَّتِهِ! فَالسُّؤَالُ: لِمَاذَا لَمْ يَعْمَلِ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ بِكِتَابِهِ النَّهْيَةِ، وَخَالَفَ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ فِي كُتُبِهِ الأُخْرَى..؟!

- إِذَا كَانَ المُحَدَّثُ النَّوْرِيُّ يَعْتَقِدُ بِكِتَابِ النَّهْيَةِ، وَهُوَ إِخْبَارِيٌّ، وَالإِخْبَارِيُّونَ لَهُمْ إِشْكَالَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ، إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الكِرَامَةُ حَقِيقِيَّةً لِمَاذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهَا..؟

- لماذا لم يعمل آغا بزك الطهراني برسالة النهاية..؟ أليس قد ورد فيها في مسألة الخمس أن العلماء عليهم أن يدفنوا حق الإمام من الخمس كما ذكر الشيخ الطوسي في النهاية؟ فهل دفن العلماء الخمس ولم يتصرفوا فيه..؟

❖ الشيخ الطوسي ليس دقيقاً في نقل الأحاديث، ذلك ما جاء من كلام للشيخ يوسف البحراني في كتابه (لؤلؤة البحرين) مُحدثاً عن الشيخ الطوسي، يقول: (وهو ما وقع للشيخ المذكور سيّما في التهذيب من السهو والغفلة، والتّحريف والتّقصان في مُتون الأخبار وأسانيدها، فلا يخلو خبرٌ من علّة من ذلك)

❖ شاهد آخر على عدم دقّة الشيخ الطوسي في نقل الحديث، هو كلام السيّد مُحسن الأمين (أعيان التّاسع: ج9)

❖ الشيخ الطوسي كما نشر التّشيع.. جرّ الويلات على التّشيع، ويجب علينا نحن تنقية التّقافية الشّيعيّة ممّا ألحق بها من ثقافة الفكر المُخالف.